العسكر والسياسة – من القصر إلى الاسر

هذا استعراض لكتاب ، رئيس جمهورية موريتانيا الإسلامية السابق ، محمد خونة ولدهيدالله ، بعنوان " هذه تجربتي – من القصر إلى الاسر ، ويقع الكتاب في 210 صفحة – ولعل هناك تشابه ما بين السودان وموريتانيا – في العنصر السكاني ، فالثلاثية العرقية في موريتانيا تقوم على بربر ، عبرب ، زنج وفي السودان تقوم على توجه نوبة / عربي / زنج– ولكن السودان يفوق موريتانيا سكانا وتعدادا لغويا ، بينما لايتجاوز سكان موريتانيا الثلاثة إلى أربعة ملايين إي عشر سكان السودان ولكنهم يتكلمون بضع لغات – واسم موريتانيا نفسه معناه بلاد المور أي القبائل البدوية الأمازيقية،ويتكلمون بالعربية والسوننكية والبولارية والولفية – ولهجتهم الدارجة خليط من هذه اللغات.

عرف السودان ، الرئيس المدني الأول لموريتانيا – والذي يعتبر الأب المؤسس للجمهورية – وهو مختار ولد داده – ويعتبر صاحبنا هذا (خونة) الرئيس الثاني لأن العسكريين الذين خلفوا مختار لم تتجاوز مدة حكمهم السنة والنصف.وكما شارك "هونة" هذا في الإطاحة بمختار ولد دادة ، فقد تمت الإطاحة به وسجن لمدة اربع سنوات مساوية لذات الفترة التي قضاها حاكما ، حيث أصبح حاكما يناير 1980م – إلى ديسمبر 84 – ودخل السدن ديسمبر 94 إلى ديسمبر 88 ، وكما اشتهر بسجونه القاسية واعتقالاته فكان نصيبه كذلك مثل ما فعل بغيره.

ولد في عام 1940م في عائلة صحراوية ن وكان والده تاجرا وبعد أن أكمل تعليمه في الثانوية الوحيدة في موريتانيا ، أمتثل لرغبة والده في أن يصبح عسكريا وبالفعل نال منحة دراسية عسكرية في فرنسا ، حيث لم تك في موريتانيا كلية للدراسات العسكرية ، ثم اصبح ضابطا ثم مرافقا خاصا للرئيس مختار ولد دادة ، وبدأت شخصيته السياسية تتبلور في حرب الصحراء الغربية ، بعد إنسحاب اسبانيا من الصحراء والمسيرة الخضراء التي قادها الملك الحسن لضم الصحراء إلى المغرب ، وفي الذاكرة المغربية أن الصحراء وموريتانيا كلاهما امتداد للمخزن المغربي لأن الشيوخ وأهل الشوكة لهم بيعة مع الاسرة المغربية الحاكمة، كما أن كل المنطقة قبل الاستعمار كانت جزءا من الجغرافية المغربية ، ولكن في ظروف إنسحاب اسبانيا، تم صراع عسكري وحرب أهلية مابين المغرب التي استملت الجزء الكبير من الصحراء، وموريتانيا التي دخلت في حرب أهلية صعبة لأخذ النصيب المتبقي من الصحراء والجزائر الحاضنة لمنظمة البوليساريو والتي خرجت من المولد بدون حمص حيث لم يتم الاعتراف لها بنصيب من الصحراء يطل على المحيط الاطلسي ، فكانت حرب الوكالة بين الدول الثلاث على الصحراء.

انهكت الحرب الأشقاء الفقراء ، حيث لا الموريتانيين ولا الصحراويين لديهم إمكانيات الجزائر والمغرب ، وشعر الضباط الموريتانيين انهم أصبحوا ضحية للعرب الكل فيها خاسر وتزوج" هونة" في ظروف الحرب عام 1976 ، من أرملة لها أبناء – وحينما اطيح بهونة ولم يك له بيت سكنت أسرته في غرفة عشوائية في بيت قصدير : ومع إن فرنسا كانت تساند موريتانيا في حربها وكذلك المغرب ولكن البوليساريو أصبحت مهدد حقيقي لوجود الدولة الموريتانية ذاتها ، ومن هنا جاءت فكرة الإنقلاب على نظام المختار ولد داداه ، وكانت تدابير الإنقلاب سطحية ، ولكن لأن النفوس كانت. مهياة للإنقلاب ، فقد وجدت هذه التدابير السطحية قبولا وسط الضباط في مجالهم ومجالس لعب الروق ، حيث تم تسمية لجنة الإنقلاب "اللجنة العسكرية للإنقاذ الوطني " ووقع الإنقلاب في 10 يوليو 1978، وفتح الإنقلاب الذي شارك فيه هونة كوزير للدفاع شهية الضباط لمزيد من الإنقلابات ، حيث وقع الإنقلاب الثاني 16 ابريل 79 والإنقلاب الثالث 31 مايو 79 والإنقلاب الرابع 4 يناير 1980م – وهو الذي جاء بالمقدم هونة رأسا للدولة، وقد مات رئيس الإنقلاب الثاني في حادث طائرة في داكار .

وبسرد العقيد هونة انجازاته في فترة حكمه " اربع سنوات " أهمها استراتيجية لقطاع صيد الاسماك وإدخال الصين في ذلك النادي بينما كانت اسماك موريتانيا تنهبها سفن الإتحاد الأوربي وغرب آسيا بالإضافة إلى إنجازات في مكافحة الجفاف وتوسيع التعليم وإقامة أول جامعة في البلاد وإعلان تطبيق الشريعة الإسلامية وتحرير الرقيق وازعج قرار تطبيق الشريعة فرنسا ، التي كانت تضغط باستمرار في إتجاه العدول عن هذا القرار ، كما قام بتحويل العطلة الرسمية من الأحد إلى الجمعة ، وبالطبع كان قراره الأهم هو إتفاق السلام مع اليوليساريو وانسحاب موريتانيا من الصحراء ، وكانت اهم الدول العربية الداعمة لموريتانيا هي العراق وليبيا وفرسنا.

تعرض نظام هونة ولد هيدالله ، لانقلابيين ، فشل الأول وتم إعداد منفذيه ونجح الثاني بينما كان يحضر مؤتمر قمة أفريقي في باجمبورا في بورندي ، ومن تشابه أحوال السياسة في موريتانيا بالسودان ، في تعيين الوزراء أنهم كانوا يعلمون تعيينهم وإقالتهم من خلال الإعلام والصورة التي يعطيك أياها كرئيس خونة عن الجيش الموريتاني أنه في حالة هرولة وسباق دائم لعمل إنقلابات فشل منها فشل ونجح ما نجح ، وأن محاولة الإنقلاب عليه تمت بايعاز من الفرنسيين واشترط عليهم قائد الإنقلاب معاوية ولد طايع أن يكون الرئيس خارج البلد زمان الإنقلاب. ويحكي عن ظروف سجنه الكئيبة حتى أنه لم يعرف بوفاة والده إلا بعد عام ونصف ، وحينما تحسنت أوضاع السجن في سجنه الجديد لم يستطيع أن يفتح عينه ، لأنه لم ير الضوء منذ ثمانية عشر شهرا ، وحينما جرت إصلاحات سياسية باسم الديمقراطية وحاول النزول في الإنتخابات وجد نفسه في السجن إلا أن انتهت الإنتخابات واحرز كما يقول في إنتخابات مزورة 8% من الأصوات .

وتكمن أهمية الكتاب ، في سؤال العسكر والسياسة وهل هناك مستقبل للسياسة والمجتمع المدني في بلاد ليس فيها مؤسسة قوية غير المؤسسة العسكرية ، ولعل هذا السؤال يطرح نفسه في السودان الأكثر تعليما وأوسع أفقا في السياسة المدنية والحياة الحزبية من موريتانيا ، ولكن مع ذلك فلا يكاد يوجد في السودان مجتمع سياسي أو حركة سياسية ذات وجود متجدد وما في الساحة أحزاب ما بعد مؤتمر الخريجين التي تأكلت مشروعيتها وقدراتها وحركات جهوية ومنظمات مجتمع مدني ضعيفة- لذا أصبحت الساحة متاحة للعسكريين والآمنين والله أعلم.